سيد الاستغفار

عن شداد بنِ أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتطعْتُ، أعُوذ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

قال ﷺ: «وَمَنْ قالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيل وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

obeikandl.com

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: سيد الاستغفار: علة وسبب.

معلوم أن السيد هو المُقَدّم المقصود في الحوائج، فاستعير لهذا الحديث هذا اللفظ لأنه حديث جامع لمعاني التوبة وفيه وصْف المولى سبحانه بصفات الكمال والجلال، ووصْف النفس بصفات التقصير وسؤال الله المغفرة؛ لأنه لا يغفر الذنوب سواه ﷻ.

* هو سيد الاستغفار: لعظيم فضله، وجميل معانيه، وسمو مقصده، ولأن فيه استعاذة من كل شر صنعه العبد، وفيه اعترافًا بالمنعم ونعمه، وبالمعطي وعطاياه، واعترافًا بالألوهية لله وحده، وتبرؤًا من كل حول وقوة، وإقرارًا بأن الغافر هو الله وأن لا ملجأ منه إلا إليه، وهروبًا من الذين ذمّهم المولى ﷻ: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، واعتذارًا وندمًا، واستعاذة من كل شر، وإثباتًا لكل جمال وكمال وجلال لله ﷻ، وفيه من التوسل المشروع ما ينتفع به العبد.

❊ ❊ ❊

واعلم أن التوسل المشروع إلى الله ﷻ ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إليه بأسمائه، وصفاته، مثل قولنا: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، ونحو ذلك، وفى ذلك امتثال لقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح يُقدمه العبد مثل:

قول العبد اللهم بمحبتي لك، أو اتباعي لرسولك كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران].

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء عبد صالح حيٍّ: مثل أن يذهب المسلم إلى عبد ذي صلاح وفضل وتقوى فيطلب منه أن يدعو له.

فهذه هي أنواع التوسل المشروع ولا يجوز أن يُتَوسَّل إلى الله إلا بما شرع[1].

اللهم

* قلها مستحضرًا أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، واقرع بها باب مولاك مستحضرًا عظمته ﷻ، والمولى رب حييٌّ كريم ولكن حياءه سبحانه من عبده حياء كرم وجود، فهو يستحي أن يرفع إليه عبده يديه ويردهما صفرًا. وكان يحيى بن معاذ يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحي هو[2].

الوقفة الثانية: الإيمان بربوبية الله تعالى وحده لا شريك له.

* تأمل ضمير المخاطب (أنت) فربك سبحانه ليس غائبًا عنك، ولا مجهولًا لديك، فهو حاضر بعلمه، بفضله، بنعمه، بكرمه، بجوده، وإذا كنت تخاطب مولاك فَمَنْ يُشغلك، وما يبعدك؟.

* ها أنت ذا تخاطبه فاستجمعْ قواك، وتأدبْ في نجواك، كما قيل: (ما

(١) لمزيد من التفصيل: انظر مجموع الفتاوى (١/ ٢٠١).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٢٠٧).

obeikandi.com

الشأن في وجود الطلب إنما الشأن أن تُرزقَ حسن الأدب»[١].

لهذا جاءت «ربي» بالإضافة، فهو ربي أنا، خالقي، رازقي ولا أحد سواه، فما أكرم هذا النسب، وما أسمى هذه الإضافة! فأي نسب نسبك؟ وأي شرف شرفك؟

قال ﷻ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه].

فافرح بذلك النسب وقل مع العبد الصالح:

ببابكَ لن أغادرَهُ ولن أسْعَى إلى غيرِكَ
سأنْسِجُ بالرِّضَا ثَوْبِي وأشْرُفُ أنّنِي عَبْدُكَ
وأهتِفُ في جَبينِ الصُّبْح حينَ يُقالُ مَنْ ربُّكَ؟
إلَهِي خَالِقُ الأكْوَانِ أَشْرُفُ أنّنِي عَبْدُكَ

فأنت بقولك: (وأنت ربي) مُقِرٌ بتوحيد الربوبية، فربك هو المتفرد بالخلق والإيجاد، والرزق والتدبير، والإحياء والممات، فهو رب كل شيء، ومنه العطاء والفضل، فقبيح بك بعد هذا الإقرار أن تجحده وتهجره.

واعلم أن الرب من أسمائه ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، ولا يُطْلَقُ هذا الاسم غير مضاف إلا على الله سبحانه أما سواه فنقول: رب المال، رب المنزل.

فماذا يقتضي اعترافك أنه ربك؟ ما الواجب عليك بعد أن أقررت وأعلنت وشهدت أنه ربك، وما أمارة صدقك فيما قلت؟

أمارة صدقك: أن تلبس لباس العبودية، فلا عُلُوّ ولا عظمةَ إلا لله

---

(١) الوابل الصيب، لابن القيم، ص١٤.

سبحانه، ولا سمو ولا شرف إلا بطاعته ولا هوان إلا لمن خلع هذا الثوب عن نفسه.

أو لم تتفكر في دعوات الرسل والصالحين في القرآن الكريم قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. ربنا، يا مَنْ خلقتنا وأعطيتنا، وأوجدتنا الكل لك مقهور، والكل لك مربوب، فأنت المتصرف وأنت الرب المالك الخالق، سبحانك أنت الذي تُربّي عبادك كلهم بالإحسان، والإنعام، وتربي أولياءك بهداية قلوبهم وطيب عيشهم، وسكينة أرواحهم لهذا كانوا يتلذذون بالمناجاة ونداء «ربنا. . . . . ربنا».

أنت ربي: فنواصي العباد وآجالهم، وأرزاقهم في يده سبحانه؛ لهذا يَقْبُحُ منك أن تذلّ وتخضع وتُسْتَعْبدَ وتركع لغير خالقك؟ فأنت عبدٌ لربٍّ واحد كما قَالَ ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ وَكُل نِسَائِكُمْ إِمَاءُ الله وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي**»، وفى رواية قال ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي. فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ فَتَايَ. ولَا يَقُلِ الْعَبْدُ رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي**»[(١)].

قوافل الخير: تناديك

رأى أبو غياث الزاهد بعض غلمان الأمير نصر بن أحمد ومعهم المغنّون والملاهي فاستعان باللّه وحمل عليهم بالعصا فَشَكَوْهُ للأمير الذي أحْضَره بين يديه وسأله: أما علمت يا أبا غياث أنّ مَنْ يخرج على السلطان يتغدى في

(١) أخرجه مسلم برقم (٤١٧٩).

السجن؟ فقال له: أما علمت أيها الأمير أن من يخرج على الرحمن يتعشى في النار؟.

فسأله: مَنْ ولّاك الحِسْبة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؟

فقال أبو غياث: الذي ولّاك الإمارة.

فقال له: الذي ولّاني هو الخليفة.

فقال أبو غياث والذي ولّاني ربُّ الخليفة. فقال له الأمير: امكُثْ معنا نُوَلِّك الحِسْبَة. قال: لا. فسأله: ولم؟

لأنك إن ولّيْتني عزلتني، وإذا ولّاني ربّي لم يَعْزِلْني أحد.

فقال له الأمير: سَلْني. فقال أبو غياث: أسألك أن ترُدّ عليّ شبابي.

فقال له: سلْ أمرًا آخر. فقال: اكتب لمالك خازن النار ألا يعذبني.

فقال له: سلْ أمرًا آخر. فقال: اكتب لرضوان خازن الجنة أن يدخلني الجنة.

فقال له: سلْ أمرًا آخر. فقال: لا أستطيع. فقال: دَعْني مع من يملك ذلك كله[1]، نكرر هذه المواعظ للفائدة والتذكرة، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الذاريات].

❁ ❁ ❁

فتدبر حالك وانظر: عبد من أنت؟ فأنت عبد لما أَسَرَكَ فإن أَسَرَتْكَ نفسُك فأنْتَ عبدٌ لها، وإن أسرتْكَ شهوتُك فأنْتَ عبد لها، وإن أَسَرتْكَ دُنْيَاك فأنْتَ عبد لها؟ فأيُّ العباد أنت؟ ولمن عبادتك لله أم لغيره؟ اصدق ها أنت قلت: (اللهم أنت ربي) فاهجر سواه، واعتصم بجنابه، وسله عطاياه.

---

(١) صور من حياة الصحابة والتابعين، محمود المصري (٢/ ١٢٢).

مسألةَ: ولِمَ قال: اللّهم أنت ربي ولم يقل اللهم أنت إلهي؟

لِيُذَكِّرَ العبيد بنعمة الخلق والإيجاد، والهداية والعطاء، فكلّ ذلك من الربّ الذي أوْجَدَهُم، وهنا توكيد «أنت ربي» للدلالة على ما وَقَر في القلب من الإيمان بهذا الرب الذي يُرَبِّي عبادَه بنعمه، وبما يحتاجونه ومن جملة الاحتياج: إجابة المضطر، وكشف الكرب، وإصلاح الحال، وجَلْب المصالح، ورفع الهموم، ودفع الشرور، ولا يقدر على ذلك إلا مَنْ له القدرة التامة، والتصرف المطلق، والملك الواسع إنه الله ﷻ؟!، وإشارة إلى القرب والتودد بين العبد وربه حال دعائه.

الوقفة الثالثة: الإيمان بألوهية المولى سبحانه وحده لا شريك له

إذا آمنت بربوبية المولى سبحانه، وكمال قدرته، وسعة ملكه، وقيوميته على الكون فإن ذلك يستلزم منك خضوعًا له وذُلًّا بين يديه، فلا تصرف أي نوع من العبادة إلا له، فالخوف والرجاء، والذل والخضوع، والتوكل والاستعاذة كلها لله وحده لا شريك له.

بلاغة وبيان

* لا إله إلا أنت: أسلوب قصر بالنفي والاستثناء، وهذه طريقة تستخدم عادة فيما يجهله المخاطب أو ينكره لعدم تيقنه منه؛ فالكل مقر لله ﷻ بالربوبية حتى الكفار، ولكن القليل هو الذي يُفْرِدُه بالألوهية لهذا ناسبها هذا البيان.

ولعلك تلحظ التركيز التام على توحيد الألوهية في كثير من الأدعية والأذكار لأنها القضية التي يكفر بها الكثيرون، فالكل مقرٌّ أن الله خالقه،

obeikandi.com

ورازقه ولكن البعض لا يقر بعضهم أنه وحده المستحق بالدعاء والخضوع، والتذلل فلا حكم إلا حكمه، ولا حلال إلا ما أحلّ، ولا حرام إلا ما حرّم. فمن هنا يأتي التذكير الدائم بتوحيد المعبود ﷻ.

❁ ❁ ❁

الوقفة الرابعة: خلقتني وأنا عبدك:

أوجدتني، ووهبتني الحياة، وأنا عبدك كونًا وشرعًا.

❁ **كونًا**: تفعل بي ما تشاء من صحة أو مرض، من غنى أو فقر، من حياة أو موت.

❁ **وشرعًا**: أخضع لأمرك، وأنتهي عن نهيك.

أنا عبدك: عبدك المعترف لك بذُلّه وخضوعه وامتثاله لك، وتوكله عليك، فما عندي من مال وولد، وجاه ومال منك (أنت ربي).

ناصيتي بيدك، ونفسي بيدك، وحياتي بيدك، وسعادتي بيدك، وقلبي في يدك، وأنا تحت حكمك ومشيئتك، لا حولَ لي ولا قوةَ إلا بك، لا غِنَى لي عنك، ولا صبرَ لي عن هَجْرك ولا طاقةَ لي، فأنت المعبود بحق ولا معبود سواك سبحانك.

أنا عبدك: إن افتخر الناس بدنياهم، ففخري بك وحدك، وإن اعتزّ الناس بجاههم، فاعتزازي بك وحدك. وإن اعتصم الناس بنسبهم، فاعتصامي بك وحدك.

ولله ما أجمل قول (البلخي): عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم أن يرضَوْا عنهم، وعبد الله تعالى يريد منه أن يرضى عنه[1].

---

(١) بلاغة الرسول، ص٤٣.

إن العاقل من البشر يرفض مصاحبة الحقير الوضيع، سيء الخلق، أو فاسد العقل، أو مختل التفكير فكيف بربك سبحانه؟ هل يَرْضَى أن يُنْسَبَ إليه عبدٌ متكبرٌ، آبق، هابط؟

فالمولى ﷻ ما أعدّ جنته، وما طيّب نعيمها إلا لعبيده -حقًا- الذين طابت قلوبهم بذكره، وحسنت أخلاقهم بهديه، واستقامت نفوسهم بطاعته. فكن له نعم العبد وأمارة ذلك: ألا تستخفك دنيا، ولا تأسرك شهوة، ولا تُضلك شبهة، ولا يستعبدك هوى، ولا يُرهبك مخلوق.

واذكر أن أسمى المقامات: مقام العبودية لله سبحانه؛ لهذا شرف المولى ﷻ نبيه ﷺ بأشرف الأوسمة في الإسراء والمعراج قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. ولو كان هناك اسم أَجلّ وأعْظَم من العبودية لسَمّى الله به نبيّه ومُصْطَفاه.

وَمِـمَّـا زَادَنِـي شَـرَفًـا وَتِـيـهًـا ... وَكِـدْتُ بِـأُخْـمُـصِـي أَطِـأُ الـثُّـرَيَّـا
دُخُولِي تَـحْـتَ قَـوْلِـكَ يَـا عِـبَـادِي ... وَأَنْ صَـيَّـرْتَ أَحْـمَـدَ لِـي نَـبِـيًّـا[1]

عِظَةٌ من صالح

سأل الحجاج رجلًا من اليمن: كيف حال أخي (محمد)، وكان واليًا ظالمًا على اليمن.

قال: تركته سمينًا بطينًا.

قال الحجاج: ليس صحته أسألك، لكن عن عدله.

(١) غُذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٤/٥٨).

قال الأعرابي: تركته غشومًا ظلومًا.

قال: أما تعرف أني أنا الحجاج وهو أخي ألا تَرْهَبَنِي؟

قال الأعرابي: نعم أعرف، ولكن أَشْرَفُه بالانتساب إليك أعزّ من شرفي بالانتساب إلى اللّه؟!

فعندما سمعها طاووس الزاهد العالم قال: مابقيت شعرة في رأسي إلا قامت(١).

* وقال بشر رَحِمَهُ اللَّهُ: **كفى بي عزًّا أنّي لك عبدٌ، وكفى بي فخرًا أنك لي ربٌّ.**

* دخل الخليفة العباسي (المهدي) المسجد النبوي فقام له الناس إلا ابن أبي ذئب فسئل عن ذلك: فقال واللّه لقد هممت أن أقوم للخليفة فتذكرت قوله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين]. فتركت القيام لذلك اليوم(٢).

فربك قدره عظيم، وفضله عميم، ولكن العباد. **وما قدروه حق قدره.**

خلق الخلق بقدرته، ورزقهم برحمته، وحفظهم بعنايته. **وما قدروه حق قدره.**

الخلق خلقه، والملك ملكه، والكون كونه، والعبد عبده، **وما قدروه حق قدره.**

---

(١) احفظ الله يحفظك، عائض القرني، ص١٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٧/ ١٣٩).

عبيده يبارزونه بالمعاصي، ويعادونه بالذنوب، ويأتونه بالخطايا، **ولأنهم ما قدروه حق قدره.**

خلعوا لباس العبودية، وتزيوا بزي الملكية، فيا حسرة عليهم، **وما قدروه حق قدره.**

مصاحفهم تشكو الهجر، ومساجدهم تئن من البعد، وربهم صبور سبحانه، وما قدروه حق قدره.

خيره إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد، وهو الحليم العفو سبحانه، **وما قدروه حق قدره.**

❁ ❁ ❁

تصحيح فهم

* ولتعلم أن عبوديتك لله تعنى الحرية عما سواه كما قال شيخ الإسلام «لا يكون العبد عبدًا حتى يكون مما سوى الله تعالى حرًا[1].

* فأنت عبد الله وحده، وتلك عقيدة بالعبادة تقتضي البراءة مما يعبد سواه ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۚ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ [هود].

* فاسعد بعبوديتك لله إذ كيف تحزن، ومعك مولاك؟ وكيف تضطرب ومعك حارسك؟

وكيف تخاف ومعك خالقك؟ وكيف ترهب مخلوقا ومعك الخالق؟

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/٥٩٨).

وكيف تخشى عبدًا ومعك المعبود؟ فكن عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال[١].

فالزم عتبة العبودية، واعلم أنك لن تحقق معنى (أنا عبدك) إلا بشرطين: الحب الكامل للّه والذل التام له.

وأنا على عهدك:

أنا على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

أو أنا مقيم على ما عهدت إليّ من أمرك ومتمسك به، وأطلب وعدك لي بالمثوبة والأجر.

ويحتمل أن يكون المراد بالعهد: ذلك الذي أخذه الله ﷻ على عباده، حيث أخرجهم أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ فأقروا بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية.

كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[٢] [الأعراف].

ووعدك ما استطعت:

* وعدي لك بلزوم طاعتك والإقرار بتوحيدك وربوبيتك، أو وعدك لي بالجنة وعظيم الأجر إن أطعتك ووحدتك، فأنا مقرٌّ لك بتوحيدك فأنْجِزْ لِي ما

---

(١) أنا الفقير إليك، شريف شحاتة، ص١٦.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ١٢٣، ١٢٤).

وعدتني من المثوبة والأجر كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١).

* وقال أيضًا ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»(٢).

وعَد الله مَن يُنيبُ ويخْشَى ... بَطْشَه رحمةً وصفحًا جميلا
وبحسبي وعدٌ من الله حق ... إنه كان وعده مفعولا

* و«ما» مصدرية كأنك تقول: أنا على عهدك ووعدك قدر استطاعتي. وفي هذه الجملة «ما استطعت» اعتراف بالضعف والعجز وقلة الحيلة، وأن العبد عاجز عن الوفاء بحق الله ﷻ، وأن أحدًا لن يقدر على الإتيان بحقوقه سبحانه، ولا الوفاء بكمال الطاعات، وتمام الشكر على النعم، فجاء الفضل من الله الرحيم أنه لم يُكَلِّفْ عباده إلا ما يستطيعون.

فحقيقٌ بك أيها العاجز أن تخضَع لمولاك، وأن تُهَدْهِدَ من عجبك، وكبريائك، تنكسر بين يدي خالقك ومولاك.

* وفى قوله ﷺ: «ما استطعت»: دليل أيضًا على قوة العبد وإرادته وأنه غير مجبور على ذلك، وهذا فيه رد على الجبرية فللعبد - هنا - استطاعة وقدرة على الفعل والكسب.

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٤٢٥، ٦٦٧)، ومسلم رقم (٣٣، ٦٥٧).
(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٣٤٣٥) ومسلم رقم (٢٨).

الوقفة الخامسة: أعوذ بك من شر ما صنعت:

العوذ: طلب الإعانة ومعناه الاحتياج والاستعانة والاعتصام باللّه سبحانه؛ لأن الإنسان مفطور على صفات تقهره؛ مثل الغضب، لذا يجب عليه الاستعانة بمن فَطَره وخلقه ورعاه وهداه فكأنك تقول: أعوذ بك ربي من صنعي فتكون هنا «ما مصدرية»، أو من شر الذي صنعته فتكون هنا «ما موصولة».

* أعوذ بك ربي من شر ذنوبي وآثارها، ومن شر العودة إليها ثانية.

* أعوذ بك ربي من شهواتي، وشبهاتي، وتقصيري، وتفريطي.

وفى قوله ﷺ: «**أعوذ بك من شر ما صنعت**» إثبات لفعل العبد وكسبه، وأن الشر مضاف إلى فعله هو لا إلى ربه، فالشر من العبد، وأما الرب فله الأسماء الحسنى، وكل أوصافه كمال، وكل أفعاله حكمة»[1].

كما أن للخير ثوابًا فكذلك للشر عقابًا قال ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]. فلتخش آثامك، وذنوبك التي عطلتك. وأخرتك.

جراحات الذنوب

إن الله ﷻ جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم:

* فجعل عقوبة الكاذب: إهدار كلامه ورده عليه.

* وجعل عقوبة الغالِّ من الغنيمة لمّا قصد تكثير ماله، حرمانه سهمه وإحراق متاعه.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨/ ٤٤٤).

* وجعل عقوبة مَنْ اسْتكبر عن العبودية: أن صيّره عبدًا لأهل عبوديته.

* وجعل عقوبة مَنْ قطع الطريق: أن تُقْطَع أطرافه، وينفى من الأرض.

* وجعل عقوبة مَنْ تَلَذّذَ ببدنه في الحرام: إيلام بدنه وروحه بالجَلْد والرجم.

* وجعل عقوبة مَنْ اطّلَع في بيت غيره: أن يجُور عليه السلطان.

* وجعل عقوبة مَنْ منع الزكاة: أن يُمْنَعَ المطر والغيث.

* وعَاقَب مَنْ أَعْرَض عن السّنة والكتاب: بأن يضله ويسد عليه أبواب الهدى[١].

بكى كرز بن وبرة ولما سئل عن السبب: قال إن بابي لمغلق، وإن ستري لمسبل، ومُنعت جزئي (من القرآن) أقرؤه البارحة وما هو إلا بذنب أحدثته[٢].

اصدق في استعاذتك من شر خطاياك، فالعاصي لا يضر نفسه فحسب، بل كل من حوله. أرشدك لهذا أبو هريرة رضي الله عنه حين سمع رجلًا يقول: إن الظالم لا يظلم إلا نفسه. فقال: كذبت. والذي نفسي بيده إن الحُبارى (نوع من الطيور) لتموت هولًا في وكرهَا من ظلم الظالم[٣].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كاد الضبُّ أن يموت في جحره هزلًا من ظلم بني آدم[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٣٧٢-٣٧٤).

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٣/ ٥٩).

(٣) الكبائر، للحافظ الذهبي، ص٣٦.

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي (٧/ ٣١٨) رقم(٣١٦١).

وصدق ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

- وعن البراء بن عازب، قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة، فقال: «إن الكافر يُضرب ضربة بين عينيه. فيسمع كل دابة غير الثقلين، فتَلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قول الله ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ يعني: «دواب الأرض».

وقال مجاهد: إذا أجدبت الأرض قالت البهائم: هذا من أجل عصاة بني آدم، لعن الله عصاة بني آدم[1].

فعجيب أخي

أن تحترز من حرّ الشمس ولا تنهض للاحتراز من نار جهنم، وأن تمتنع عن الطعام مخافة الداء أحيانًا ولا تمتنع عن الذنوب مخافة نار ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

أمامك طريقان: إما طريق الحق والطاعة والنور فيقال لك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، وإما طريق الهوى والشر والعصيان فيقال لك: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

وعلى الدرب رجال

أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حَجَرٌ، وهو يرمي الجمار فشجّه فقال: ذنب بذنب والبادئ أظلم[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٧٢).

(٢) الزهد لهناد، برقم (٤٣٢).

وقال ﷺ: «**لا يصيب عبدًا نكبةٌ، فما فوقَها أو دونَها إلا بذنبٍ وما يَعْفُو الله عنه أكثر**»(١).

وقال ﷺ: «**المَصَائِبُ وَالأَحْزَانُ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ**»(٢).

فيا لسعادة من اعتبر: لأن من كثُر اعتباره قَلَّ عثاره، فاخش - أخي - عنيف العقاب بعد لطيف العتاب.

هزات إيقاظ

احذر ذنوبك: وَلِمَ لا تحذرها، وهي التي تَحْجُبُ الرزق وتضَيّق الصدر وتُعَسِّرُ الأمر، وتَحُول بينك وبين الخير كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

وكقوله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنبِ يُصِيبُهُ . . .**»(٣).

احذر ذنوبك: ولم لا تحذرها وهي سبب الخذلان عن الطاعات فاهجر ذنبك تُرزق الطّاعة، عَلّمَك إبراهيم بن أدهم حين شكا إليه رجل عجزه عن قيام الليل: قال: لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه بالليل(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣١٧٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٧٧٣٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٧١٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٤٤٠) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٣٢٤٨).

(٤) تنبيه الغافلين ص٥٣.

* **أطلقها لك الفضيل بن عياض:** إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَصِيَامِ النَّهَارِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَحْرُومٌ مُكَبَّلٌ كبّلَتْكَ خَطَاياك[١].

تذكر ذنوبك فكم نظرت عينك إلى الحرام، فقل بكاؤها، وكم قصرت عن صلاة الفجر، فانطمس نور وجهك. وكم رتعت في المال الحرام، فمحقت بركته، وكم مرة استمتعت بلذاذة الألحان فحرمت تلاوة القرآن، وغزا قلبك حب الدنيا، فخرجت الآخرة منه لأن الآخرة عزيزة لا تقبل الشراكة[٢].

فاصدق في سؤال مولاك: الحماية من الذنوب وآثارها واحذر ما أخبرك به حذيفة بن اليمان ﷺ بقوله: «**ما استخف قوم بحق الله ﷻ إلا بعث الله عليهم من يستخف بحقهم**».

❋ ❋ ❋

الوقفة السادسة: أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي:

* أبوء أي: أعترف بنعمتك وفضلك كما أعترف بذنبي وتقصيري فيما أوجبت عليَّ، قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ، يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الإِيمَانِ**»[٣].

* فكأنك تقول: إني وإن جُلت كما يجول الفرس مع اعترافي بذنبي وتقصيري. فإني عائد إلى مولاي كما يعود الفرس إلى آخيته.

فتأمل: لِمَ جمع النبي ﷺ بين النعمة والذنب؟

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني (٨/ ٩١).

(٢) هبي يا رياح الإيمان، خالد أبو شادي، ص١٣.

(٣) سبق تخريجه، والآخيه: عروة في الأرض أو الحائط يشد بها الفرس.

لأن العبد يتقلب بين أمرين: نعم يجب شكرها، وذنوب يجب الاستغفار منها.

* **وجاءت النعمة مفردة مضافة إلى الله لتشمل كل النعم** ظاهرة وباطنة فالإيمان نعمة، والهداية نعمة، والذكر نعمة، والطاعة نعمة، وراحة البال نعمة، وأضيفت للمولى سبحانه؛ لأن ذلك حسن أدب في الخطاب مع الله فسبحانه هو الوهاب الجواد.

قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

* **وجاء الذنب مضافًا للعبد**: لأن الذنب من كسب العبد بسبب ضعفه وعجزه وجهله.

* وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا، وقيل للمغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد؟ فقال: أصبحنا معترفين بالنعم مُقَرّين بالذنوب يتحبَّبُ إلينا ربّنا، وهو غَنِيٌّ عنا ونتباغض إليه، ونحن إليه فقراء[1].

❁ ❁ ❁

مشاعر خير

انسب النعم إلى ربك، فهذا خير ومعروف، وعليك أن تقرّ بهذا صادقًا رجاء أن يحفظك مولاك من مصير الذين ادّعوا أن ما بهم من نعم فإنما هي من علمهم وكدّهم وسعيهم كما قال ﷻ عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ

(١) المدخل، للعبدري (٣/ ١٦١).

جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

واعلم أن الله أعطاك ما أعطاك من الفضل والخير دون استحقاق لك أو واجب عليه، بل أعطاك كرمًا منه وفضلًا. لهذا تَعَجَّبَ أحدُ الصالحين عندما سمع قوله ﷻ: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص].

قال: عَجِبْتُ! يُعْطِي ثم يُثني سبحانه...!

ما للعبَاد عليه حقٌّ واجب ... كلا ولا سعيٌ لديه ضائِعُ
إنْ عُذِّبُوا فبعَدْلِه أو نُعِّمُوا ... فبفضْلِه وهُو الكَريمُ الواسع[1]

* أحسنْ جوار نعم ربك وإلاّ زَالَتْ عنك، فاعتياد رؤياها قد ينسيك شكرها ولن تعرف قدرها إلا عند فقدها، فكم عمِيَتْ عيونٌ عن رؤية المنعم، فغفلت عن جميل نعمه، وعجزت عن شكره فكان الحرمان لها جزاءً وفاقًا.

❋ ❋ ❋

وأبوء بذنبي

وأعترف لك بذنبي كما اعترف آدم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف].

وكما قال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود].

وكما قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص].

وكما قال ذو النون ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣٣٩).

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء].

فاستشعر بقولك أبوء بذنبي: أنك مشاهد لذنوبك، وآثارها، مستحضرًا عظمة ربك الذي سترك وما فضحك، وأعطاك وما حرمك، وهذا الشعور يُورثك الذل له، والانكسار بين يديه، والتوبة مما فعلت.

واعلم أن: «العبودية مدارها على قاعدتين: حب كامل، وذل تام ومنشؤهما عن مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس»[(١)].

وصدق من قال: الاعتراف يهدم الاقتراف[(٢)].

❀ ❀ ❀

أفلا تستحي أخا الإسلام؟

❀ أفلا يحرّكك حديث النبي ﷺ «**لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ أَطْوَعُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ ابْنِ آدَم**»[(٣)]؟

❀ أفلا تستحي من ناقتك؟ قالها لك التابعي عبد الله بن عون المصري: «أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركَب، وثوبه الذي يلبس أكثر ذكرا لله منه»[(٤)]، أما تستحي من ظلك بجوارك ساجد لله تعالى وأنت عابث لاه عن السجود لكبرياء الله تعالى وعظمته.

---

(١) الوابل الصيب، لابن القيم، ص١٢.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة، ص٣١٤.

(٣) أخرجه البزار برقم (٤٣٧٤) والطبراني في المعجم الصغير برقم (٩٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٩٢).

(٤) هبي يا رياح الإيمان، خالد أبو شادي، ص٧٦.

obeikandl.com

كم مرةً مرضت فيها فشفاك، ونزلت بك نازلة فنَجّاك، وألمّ بك الجوع والعطش فأطعمك وسقاك.

أنعم عليك بالإسلام والكثير ضال، وأكرمك بالنعم والكثير محروم، كيف تبارزه بالمعاصي وهو يُعطيك؟ وكيف تعصيه وهو يهديك؟

ما أكرمه سبحانه!! تُسيء إليه فما يزيده ذلك إلا إحسانا! وتذنب فما يزيده ذلك إلا إنعاما! لا يمنعه إساءة لسانك بالكذب أن يحرمك نعمة الكلام، ولا النظر إلى الحرام أن يحرمك نعمة الإبصار.

يقول (ابن حجر) «يؤخذ مما سبق أن من اعترف بذنبه غفر له، وقد جاء ذلك في حديث الإفك وفيه: **أن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه**»(١).

فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت

بعد هذا الثناء على المولى ﷻ يأتي ذكر المأمول والمطلوب: وهو المغفرة فكأنك بقولك **(فاغفر لي) تقول**: استرني وأقِلْني، وقِني شر ذنوبي ولا تحرمْني، وأذِقْني حلاوة طاعتك وأعني على التوبة، ولا تعِدْني ثانيةً للشر والذنب، وامحُ عنِّي ما سبق من الزلات والآثام والخطايا.

واعلم أن المغفرة هي: وقاية شر الذنوب مع سترها، فلا يفضح العبد في الدنيا ولا في الآخرة، والاستغفار هو طلب ذلك من الله.

والاستغفار المقبول له ثلاثة شروط:

(١) إخلاص النية لله ﷻ.-

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ١٢٤).

(٢) صدق التوجه إلى الله ﷻ.

(٣) الانكسار والخوف والإقرار بالذنب.

قال علي رضي الله عنه: «**ما ألهم الله سبحانه عبدًا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه**»(١).

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيَّ عود لسانك: «اللَّهُمَّ اغفرْ لِي فإنَّ لله ساعاتٍ لا يَرُدُّ فيها سَائِلًا»(٢).

واعلم أن رحمة الله واسعة، وصفحه عظيم، ولا يتعاظمه ذنب فهو الغفور الرحيم، فأقبل عليه فهو أرحم بك من رحمة الأم بولدها.

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

تصحيح فهم

الاستغفار المطلوب هو ما اجتمع عليه القلب واللسان، فمن لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته، وتعديل مساره، وتغيير حاله، فهو كاذب في ذكره لأن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه، فما معنى أن يستغفر المرء ربه من شرب الخمر، والكأس بين يديه؟ أو يستغفر ربه من الكذب ولسانه لا يفتر عن الزور والبهتان؟!

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢/ ١١١).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص٤٠٨.

obeikandl.com

قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار[١].

وقال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره[٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه].

فتأمل لمن المغفرة؟ وما شروطها؟

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ لَفْظَةٍ بَدَرَتْ خَالَفْتُ مَعْنَاهَا
وَكَيْفَ أَرْجُو إِجَابَاتِ الدّعَاءِ وَقَدْ سَدَدْتُ بالذّنْبِ عِنْدَ اللهِ مَجْرَاهَا[٣]

❁ ❁ ❁

مسألة: كيف يطلب النبي ﷺ المغفرة من ربه، بل كيف يعترف بذنبه وهو المعصوم من الخطأ؟

❁ هذا لكمال فضله ﷺ وخضوعه لربه، فالإنسان كلما كَمُلَ زاد اتهامه لنفسه، فالأمر ليس فيه إثبات للذنب بل تعظيم لله وتواضع منه ﷺ[٤].

❁ ولا يتصور من النبي ﷺ شر فيستغفر منه، بل إن استغفاره استغفار يليق بعظمته وسموه، وجميل معدنه كراكب السيارة كيف ينظر لراكب الحمار، وراكب الطائرة كيف ينظر لراكب السيارة؟

وهكذا المصطفى الذي ارتقى في سُلَّمِ العبودية فقام مُسْتَغْفِرًا لا من ذنب وقع؛ بل لشعوره بالعجز عن الوفاء بحق مولاه وأجدر الناس بهذا الشعور هم أعلاهم معرفة بربهم ﷻ.

---

(١) الأذكار، للإمام النووي، ص٤٠٥.
(٢) أسباب المغفرة، ابن رجب الحنبلي، ص٤.
(٣) المرجع السابق، ص٤١٠.
(٤) الفتوحات الربانية، لابن علان البكري (١/ ٦٦٨).

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالفِعْلُ وَاحِدُ إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا[١]

* الأنبياء هم الأكمل في الطاعة والعبادة؛ لهذا فهم الأعلم بجلال ربهم وعظمته، لهذا يُكثرون من شكره مع الاعتراف بعدم الوفاء بحقه ﷻ.

* أو للشعور بالتقصير في أداء الحق الذي يجب لله ﷻ.

* أو لاشتغاله ﷺ بالمباحات من أكل وشرب وجماع مما يحجبه عن الاشتغال بذكر المولى سبحانه.

* أو أن هذا تشريع منه لأمته ليقتدوا به ﷺ[٢].

أرباح وبشريات

* من قال هذا الذكر دخل الجنة وفي رواية: «إلا وجبت له الجنة».

من قاله موقنًا به، متدبرًا ما فيه مُصدقًا بما نطق، مُستشعرًا ما ذكر، فثوابه الجنة أي بلا دخول للنار؛ لأن المؤمن بحقيقة هذا الحديث لا يعصي ربه؛ أو لأن المولى سبحانه يتفضل عليه فيعفو عنه ببركة هذا الاستغفار[٣].

وإنما جُوزِيّ المحافظ على هذا الدعاء بهذا الأجر العظيم لأنه افتتح نهاره واختتمه بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته، والاعتراف بالعبودية ومشاهدة المنعم ونعمه، ومطالعة عيب النفس وتقصيرها، وطلب العفو والمغفرة من الغفار، وهذه صفات كريمة يفتتح بها النهار ويختتم بها فجدير بمن حافظ عليها أن يُرْزَقَ العفوَ والغفران[٤].

(١) شرح ديوان المتنبي، للواحدي، ص٢٤٠.
(٢) الجواهر الصحاح، ص١٨٢.
(٣) الفتوحات الربانية، لابن علان البكري (١/ ٦٦٩).
(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٣/ ١٨).

obeikandl.com

حصاد الذكر

(١) الاستغفار من دلائل العبودية فالعبد بعد أن أذنب وخالف ها هو يلجأ إلى مَنْ عَصَى أمره وخالفه، فمن خاف غير الله هرب منه، ومن خالف ربه هرب إليه ولم لا؟ وهو الذي يتولى عبيده في كل أحوالهم.

(٢) الاستغفار اعتصام بالله فالإنسان حين يُذنب يكون مطيعًا لهواه وشهواته ويقضي بذلك حظا من حظوظ النفس، وربما سعد بذلك الذنب ولكن ها هو الآن يعود إلى مولاه واصفًا الذنب بأنه ثقل يضيق بحامله ويحتاج لمن يخلصه منه فلا يجد إلا مولاه لهذا يستجير إليه.

(٣) في الاستغفار إحساس بأن الذنب عار، ورَبُّه وحده هو القادر على محو ذلك العار، وبأن الذنب نار لا يشعر بها حال معصيته لكنه الآن يحتاج لمن يطفئ جذوتها.

(٤) الاستغفار بناء لكل دمار أنتجته الذنوب، فالمرء بهذا الذكر يعيد ما انهدم من الإيمان، وتأمل حديثه ﷺ: «**وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[1] ففي لحظة المعصية غاب إيمانه أو ضعف، لكنه يعود مُستغفرًا مُعترفًا بأنه ما أذنب كُفْرًا بربه، ولا خروجًا عن عبوديته، ولا جحودًا بنعمه، بل جهلًا وغفلةً.

(٥) الاستغفار بيانٌ أن الشيطان يستمر في الإغواء حتى يُزين للإنسان المعصية ليفعلها وعندئذ يفرح الشيطان بفريسته، وإبعاده عن ربه، لكن ها هو العبد يعود ويبدأ ليله ونهاره بالاستغفار؛ وما ذاك إلا لبدء صفحة جديدة تمحو ما سبق.

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٥١٥٠) ومسلم رقم (٨٦).

(٦) الاستغفار طاعة لله وامتثال لهديه ﷺ في لزوم الاستغفار كما قالت عائشة رضي الله عنها طُوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا[١].

(٧) في استغفار العبد إيمانٌ واعترافٌ بحقيقة العبودية وحقيقة نفسه، وعيوب عمله، وشدة الجهل بربه، وما ينبغي أن يُعَامَلَ به.

(٨) الاستغفار رحمة من الله الستير الذي علم ضَعْفَ عبده، وغلبة هواه، وتسلط الشيطان عليه، فشرع له الاستغفار ليمحو ذنبه.

(٩) الاستغفار ستر من الله الستير الذي ستر على عبده خواطر السوء، وأفكار الشر فشرع له الاستغفار لمحو أثر خواطره وأفكاره.

استغفار قلب

هذا بعض فقه الحديث قد علمته، فأين ثمرة علمك؟

حضر داود الطائي مجلس علم لأبي حنيفة فقال له الإمام يا داود: أما الأداة فقد أحكمناها. فقال داود: فأي شيء بقي؟ قال: بقي العمل بهذا العلم يا أبا سليمان[٢].

ها أنت علمت الاستغفار، وبعض صيغه، وعظيم ثوابه، وهذا العلم إذا لم يُبعدك عن المعاصي، ولا يُقربك إلى مولاك ويُحببك إليه ولا يحملك على الطاعةِ فلن يبعدك يوم القيامة عن نار جهنم.

- **كَذَبَ في استغفاره**: من ادّعى الإيمان دون أن يقدم برهان إيمانه من

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٣٨٣).

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني (٧/ ٣٤١- ٣٤٢).

تسبيح صادق، واستغفار من قلب غير غافل، وعقل نادم، وذكرٍ دائمٍ، وخضوع وخشوع لله ﷻ.

كذب في استغفاره: عبدٌ زعم اتباع الرسول ﷺ وحبه، وهو مضيع لسنته، وسالك غير سبيله.

كذب في استغفاره: عبدٌ مسلم ولا يحمل من الإسلام إلا اسمه ورسمه.

كذب في استغفاره: عبدٌ يقول أَسْتَغْفِرُ الله أستغفر الله ومحارم الله تُنْتَهَكُ على يديه، وحدودُهُ تضيع أمام عينه، وصلواته يفرط فيها بيديه ألا من وقفة تدبر وتأمل في استغفارنا كيف يكون؟!!

obeikandl.com